رؤية الجاحظ لنشأة اللغة وأهم الأمراض اللغوية التي تصيب اللسان البشري
(من وجهة نظر مازن الوعر)

د. ابن شتوح عامر

جامعة عمار ثليجي بالأغواط – الجزائر

Al-Jahid's View about Language Rise and the Important Linguistic Problems Affecting the Human Tongue
(From Mazin Al-Wa'r's Point of View)

Dr. Ibn Shatooh Amir

University of Ammar Thulaiji in Al-Agwat – Algeria

amural73@gmail.com

Abstract:

What Al-Jahiz wrote expresses truly a distinct effort That was marked by seriousness and strength of mastery and good placement because it forms an Arab figure that has its position among Arab scientists who represent the Arab heritage - linguistic and rhetorical part of it – represent it very importantly that leaves no room for doubt, for he had his own reviews and imprints, and through what we followed of what researcher Mazen Al-Waer wrote we found that he was interested in what Al-Jahiz wrote either at the level of the emergence of language, or at the level of language diseases that afflict human tongue, Mazen Al-Waer reading was in light of the modern linguistic lesson t prove that the findings of the west of the linguistic and scientific facts have an impact on what our ancient Arab scientists wrote.

الملخص

إن ما كتب الجاحظ يعبر بحق عن جهد متميز اتسم بالجد وقوة التمكن وحسن الطرح أهله لأن يكون قامة عربية لها مكانتها بين العلماء العرب الذين يمثلون التراث العربي – اللغوي والبلاغي منه – تمثيلا جد هام لا يدع مجالا للشك، فكانت له نظرات وبصمات خاصة به، ومن خلال تتبعنا لما كتب الباحث مازن الوعر وجدناه اهتم بما كتب الجاحظ إن على مستوى نشأة اللغة، أو على مستوى الأمراض اللغوية التي تصيب اللسان البشري، فقراءة مازن الوعر كانت في ضوء الدرس اللساني الحديث لتثبت أن ما توصل إليه الغرب من حقائق علمية لغوية له أثر في ما كتب علماؤنا العرب القدامى.

الجاحظ: نشأة اللغة وتطورها:

يرى الجاحظ في كتابه الحيوان أن اللغة بين الإلهام والاصطلاح، في أولها إلهام من الله للناس جميعا ولكن مكن الله الناس من الاشتقاق والتصرف بها، ودليله في ذلك أنه لو كانت اللغة إلهاما لما تمكن الناس من الاستبدال والاشتقاق ووضع كلمات جديدة، يقول الجاحظ في ذلك: «...فإذا كان العرب يشتقون كلاما من كلامهم، وأسماء من أسمائهم، واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألهمهم وعلمهم، وكان ذلك منهم صوابا، عند جميع الناس، فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق وأوجب طاعة، كما أن له أن يبتدئ الأسماء فكذلك له يبتدئها مما أحب. فقد سمى كتابه المنزل قرآنًا، وهذا الاسم لم يكن حتى كان»[١]، فها هو يتكلم عن إسهام المتكلمين والنظّارين في إثراء اللغة بألفاظ جديدة«...وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع، ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشباه ذلك، وكما وضع الخليل ابن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطويل والبسيط والوافر

والكامل... كما سمى النحويون فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لأنه لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم»[2].

من خلال النص السابق الذكر نجد أن الجاحظ تطرق إلى العلامات بوجه عام ضمن علوم ومعارف كثيرة إلا أن ذلك لا ينفي بأي حال من الأحوال إقراره المباشر والصريح بالوضع اللغوي للألفاظ بين الناس على أساس اصطلاحي عرفي، حتى وإن كان قد قال بأن اللغة بين الإلهام والاصطلاح.

وهناك نصوص أخرى تثبت أن اللغة اتفاق بين الناس من أجل التفاهم والتخاطب يقول الجاحظ: «وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم»[3]ويقول في نص آخر: «وكما سمى النحويون، فذ كروا الحال والظروف وما أشبه ذلك، لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو...»[4].

فمن خلال هذا النص نلاحظ أن الجاحظ كان من بين أحد السباقين إلى اكتشاف العلامة ودورها في حمل الدلالة باعتبارها مشارا بها إلى شيء ما، فلولا هذه العلامة لأصبح هذا الشيء فارغا من المعنى.

فالجاحظ يؤكد أن اللغة إنما اتسعت معانيها لحاجة الناس للتواصل والتفاهم فيما بينهم فاللغة اصطلاحية، وهاهو يسرد لنا بعض الأقوال المنسوبة إلى الهند التي تتضمن أن اللغة كثرت معانيها واتسعت باتساع حاجة الناس، ولو كانت اللغة إلهاما لما كانت على هذه السعة، إذ أنّ الإنسان يلهم أسماء ما يرى وما يعرف من حاجات وأشياء ومسميات[5].

وممن ذهب ما ذهب إليه الجاحظ من اللغويين العرب عالم البلاغة الكبير عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) الذي يقول: «إن الكلمة المفردة في دلالاتها على معناها ليست من إملاء العقل بل هي محض اتفاق فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»[6]، ومن هؤلاء أيضا ابن خلدون (ت٨١٨هـ) الذي يرى أن «اللغة في التعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني، ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم»[7]، مرة أخرى نجد أن اللغة من اصطلاح الجماعة اللغوية التي تجمعهم لغة واحدة.

في حقيقة الأمر لسنا هنا من أجل إثبات اتفاقية اللغة أو عدمه لأن علماءنا الأجلاء من النحويين والبلاغيين وغيرهم كان لهم رأي صريح في هذه المسألة باستثناء البعض أمثال أبو علي الفارسي.

- نشأة اللغة[8] وتطورها في ضوء اللسانيات النظرية سبر لتجربة الجاحظ:

يرى مازن الوعر أن الجاحظ يقترب كثيراً من البحوث اللغوية في علم اللسانيات النظري الحديث في معالجته النظرية لمفهوم اللغة، إذ يعتقد أن اللغة وضع من أوضاعه المجتمع وصياغة من صياغاته[9].

ويمكننا أن نلخص نظرة الجاحظ وتشومسكي للغة من خلال الصورة الآتية[10]:

اللغة عند الجاحظ:

١-إلهام ← غزيرة → + فطرة الله

٢-وضع ← مجتمع → الحاجة

اللغة عند تشومسكي: (وضع)

١- إلهام ← غزيرة+فطرة → الله

٢-برمجة ← كمبتة لسانية → استعداد بيولوجي

٣- وضع ← بنية تنظيمية ← مجتمع → الحاجة

٤- توليد وتحويل ← (صوت،شكل،دلالة) → جمل لغوية

من خلال ما تقدم لاحظ مازن الوعر أن الجاحظ يعتقد ما اعتقد العالم الأمريكي تشومسكي في نظريته المعدلة التي تقول: «إن اللغة إلهام على حد تعبير الجاحظ وذلك لأن الطفل مهيأ لتعلمها، بل إن المراكز البيولوجية في دماغه مصوغة ومخططة لتعلُم النظام اللغوي واكتسابه....»[11].

إن ما يعنيه الجاحظ بإلهامية اللغة هو تلك المراكز البيولوجية الموجودة على مستوى الدماغ والمهيأة لتعلم النظام اللغوي واكتسابه في آن واحد، ومن هنا كما يقول الباحث إن الطفل العربي أن يتكلم اللغة الصينية أو اليابانية أو الإنجليزية إذا ولد في نفس البيئة والعكس صحيح بالنسبة للطفل الذي يولد في بيئة عربية وهو من أصل صيني أو ياباني أو انجليزي، فهو مبرمج في دماغه بيولوجيا لأن يكتسب اللغة العربية ويتعلمها، لأن مفهوم البرمجة والكمبتة اللسانية القادرة على التوليد والتحويل اللغوي في دماغ الطفل ليست متعلقة بلغة معينة[12]، إنما هي ظاهرة لغوية عامة يشترك فيها جميع البشر.

هناك نص آخر للجاحظ يؤكد فيه أن اللغة تتسم بالطبيعة البيولوجية يقول في ذلك: «وإنما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكن، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة، فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه، ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه»[13]، حينما نقرأ العبارة الآتية: "لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكن، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة"، نجدها توحي إلى فكرة الملكة اللغوية التي تميز بها تشومسكي، فالجاحظ يرى أن الله منح الإنسان ذلك الاستعداد الفطري الذي أهله دون غيره على إنتاج اللغة وفهمها في آن واحد.

- الجاحظ[14] والأمراض اللغوية:

إن هذا البحث في نظرنا من البحوث القيمة التي تطرق إليها مازن الوعر كونه حاول أن يكشف عن بعض البحوث اللغوية عند الجاحظ، ودراستها على ضوء اللسانيات الحديثة لمعرفة بعض الحقائق حول التأثيرات اللغوية في بناء ما يسمى باللسانيات.

وهل أن ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة له وجود في التراث[15] العربية القديم؟ باعتبار الجاحظ واحدا من الذين يمثلون رجالات التراث العربي القديم، فهو يعتبر موسوعة علمية ومعرفية لها مكانتها ماضياً وحاضراً مما دفع مازن الوعر لإحياء تراثه اللغوي برؤية لسانية حديثة، فلابد من إحياء التراث وبعثه من جديد وفق تطورات العصر ومعطياته، مع مراعاة خصوصية كل تراث من تراثات العالم هذا حتى يتسنى للأجيال بناء مستقبلها بناء صحيحا يجعلها لا تتسلخ عن ماضيها وأصالتها التي كانت سببا في وجودها وازدهارها فالحداثة لا تعني هجر التراث كون العلاقة بين الحداثة والأصالة(التراث)جد قوية وجد مهمة، وعليه لابد من بعث التراث من جديد والاعتناء به[16]، فمازن الوعر حاول بطريقة أو بأخرى أن يثبت أن ما توصل إليه العقل الغربي الحديث ليس ببعيد عما توصل إليه الفكر العربي، وربما الفارق الذي يكمن بينهما يرجع إلى درجة النضج العلمي والمعرفي والمنهجي ليس إلا، فشتان بين القرن الثاني الهجري والقرن الرابع عشر الهجري.

أ- طبيعة المرض اللغوي:

إن طبيعة المرض اللغوي هي الزيغ أو الانحراف والتداخل في العملية اللغوية أو الاتصالية، والمرض الكلامي قد يكون في النطق الكلامي، أو يكون في الصوت الكلامي، أو في الاستعمال الكلامي، وهنا قد سجل معظم الباحثين أن معدل الأمراض اللغوية عند الرجال هو أكثر نسبة منه عند النساء، وفيما يلي نقدم النسب المئوية التالية لمجموعة من الأمراض اللغوية كانت قد حصلت أو يمكنها أن تحصل[17]:

الرقم	نوع المرض	نسبة حدوث المرض اللغوي
٠١	مرض نطقي	%٥٠
٠٢	مرض سمعي	%١٥
٠٣	مرض التأتأة	%١١
٠٤	مرض الصمم	%٨
٠٥	مرض الكلام البطيء	%٤
٠٦	مرض في الصوت	%١
٠٧	مرض في الحلقوم	%١
٠٨	مرض في خلل في الدماغ	%١
٠٩	مرض شلل في الدماغ	%١

بعد هذا العمل الذي قدمه الباحث انتقل للحديث عن ظاهرة التأتأة، قال بأنها ظاهرة في جميع الثقافات قديمها وحديثها، وأنها تحدث في مراحل مختلفة من حياة الإنسان، ولكنها تكون في مراحل الطفولة المبكرة، فهناك عباقرة في العالم كانوا متأتئين كأرسطو وتشرشل وداروين إلا أنهم استطاعوا التخلص من هذه الظاهرة اللغوية في وقت من الأوقات، ولكل ثقافة تسمية خاصة لهذه الظاهرة ففي اليابانية يسمونها بـ: **دودوم** وفي الصينية يعبر عنها بـ: **ناناوي** وفي الألمانية يعبر عنها بـ: **ستوتيرن** وفي الإنجليزية يعبر عنها بـ: **ستتريك**، وهذا الاختلاف في التسميات يعود للاختلاف في اللغات والثقافات، كما أثبت الباحثون أن هناك عوامل وراثية واجتماعية لظاهرة التأتأة[18].

ب- العامل الوراثي والاجتماعي لظاهرة التأتأة:

يرجع الباحثون والمهتمون هذه الظاهرة اللغوية إلى عوامل قد تكون وراثية وبالتالي وجود استعداد فطري قوي لظهور هذا النوع من المرض اللغوي خلال أجيال متعاقبة تنتمي إلى أسر واحدة، وهناك من الباحثين ميز بين التأتأة التي تعود لعوامل وراثية والتي تعود لعوامل اجتماعية، مؤكدين أن العامل الوراثي هو الأكثر تأثيرا وانتشارا، إذ تختلف نسبة انتشارها من ثقافة إلى أخرى ومن قبيلة إلى أخرى، وقد تكون مفقودة تماما في ثقافة أمة أخرى[19].

ج- الخصائص السيكولوجية للتأتأة:

إن أهم الخصائص السيكولوجية التي يتميز بها منْ هُمْ مصابون بهذا المرض اللغوي وهذا من خلال التجارب التي قام بها عدد من الباحثين أنهم أقل ذكاء وتكيفا من سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية النفسية والعاطفية، ومن وجهة نظر الباحث مازن الوعر أن هناك اختلاف حتى بين المتأتئين أنفسهم، كما أن شخصية المتأتئين والمتلعثمين هي شخصية أكثر عصبية وتوتراً وخوفاً وخجلاً[20]، نظرا لتأثير هذه الظاهرة المرضية على نفسياتهم، وبالتالي على سلوكاتهم اليومية.

د- سلوكية التأتأة والتلعثم اللغوي:

يطرح الباحث السؤال الآتي عن سلوكية التأتأة والتلعثم اللغوي.

كيف تحدث التأتأة في العملية اللغوية؟ بل ما هي المواضع التي تحدث فيها التاتأة؟

إن التأتأة تحدث أكثر في الكلمات المتشابهة، ولقد أثبت ذلك الباحث اللغوي **ويندل جونسون** من حوالي ٧٠% من التأتأة تحدث في كلمات متشابهة، ويمكن المتأتئين أن يكشفوا الكلمات التي يمكنهم أن يتأتئوا فيها وذلك أثناء قراءة صامتة وبطيئة، فهذه الحقيقة جعلت الباحث **ويندل جونسون** يعتقد أن الظاهرة مرتبطة بسلوكية المتأتئين من الناحية النطقية والصوتية أكثر من ارتباطها بالعملية الوراثية للصوت نفسه[21].

كما وجد الباحثون أن التأتأة وتحدث في الأصوات الصامتة بنسبة ١٤% وفي الأصوات الصائت٢%، وحدوثها في الأفعال والأسماء والصفات أكثر من حدوثها في الضمائر وحروف العطف، إضافة إلى هذا فغنه تحدث في المعنى المعجمي أكثر من حدوثها في الكلمات ذات المعنى النحوي والوظيفي، وهي تحدث في الكلمات الطويلة ذات المعنى الكثير أكثر من حدوثها في الكلمات القصيرة ذات المعنى القصير، عموما إن طاهرة التأتأة تحدث في بدايات العملية اللغوية إلا أن حدوثها في سياق الكلام لا يتجاوز ١٠%، فمازن الوعر يرى أن هذا يعود إلى الحالة النفسية المتوترة والقلق اللغوي الذي يحصل في بداية الكلام[22].

هـ- معالجة التأتأة والتلعثم اللغوي:

لقد ارتبطت هذه الظاهرة اللغوية بعدة أقاويل فهناك من ربطها بالعمل السحري والشعوذة، ففي العصر الروماني ظن الناس أن أرواحا شريرة تسكن صدور المتأتئين وبالتالي تعمل على توجيههم، كما ظن آخرون في العصور الوسطى أن اللسان هو أساس أية مصيبة مرضية تصيب الإنسان فكان من يقوم بكيه وهناك يستخدم النبيذ الساخن لترقيق اللسان وجعله أكثر لينا وطلاقة بعدما حسبوا أنه قطعة جامدة.

أم الطب الحديث فقد أثبت أنه يمكن علاج هذه الظاهرة اللغوية، وذلك من خلال تقديم العلاجات التالية[23]:

-تخفيض عملية السمع.

-استخدام العملية الفيزيائية.

-استخدام النظم المقفى في الكلام.

-استخدام المهدئات.

العلم الحديث أولى أهمية كبرى لظاهرة التأتأة اللغوية، وذلك من خلال التعامل معها **بـ:**

-خلق الجو النفسي والاجتماعي المريح للمصاب بهذه الظاهرة اللغوية.

-العامل الوراثي مهم إلا أن خارج عن سيطرة العلم والعلماء.

-مواجهة الأسر والمربين هذه الظاهرة بثبات ورباطة جأش.

-اختيار الطريقة المناسبة المتفقة مع البحوث العلمية والطبية واللغوية[24].

كما أن مازن الوعر تطرق إلى موضوع الأصوات اللغوية عند الجاحظ التي تدخلها اللثغة معالجة علمية دقيقة إذ تطرق للحروف التي تدخلها اللثغة«...القاف والسين واللام والراء...»[25].

وبحسب رأي الجاحظ قد يصاب المرء بأكثر من لثغة لغوية«وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في جوفين...»[26].

كما أن صاحب البيان لم يكتف بوصف الأصوات، بل تحدث عن مراتبها ومستوياتها الاجتماعية ومواقعها من آذان المستمعين، كما هو موضح من خلال الشكل التالي:

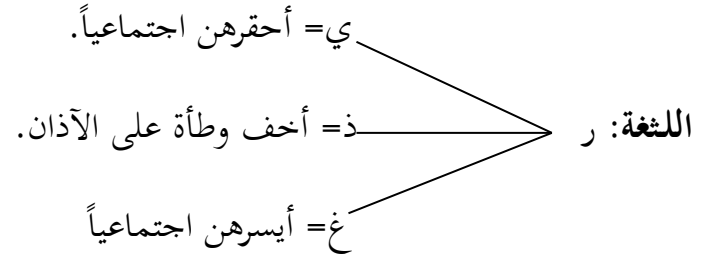

يرى الباحث أن الجاحظ له دراية وعلم واسع بالأمراض اللغوية التي تصيب الناس سواء كانوا بلغاء أو خطباء أو شعراء أو رؤساء أومن عامة الناس مستشهداً في ذلك بأقوال أساتذته أمثال الأصمعي[27].

فالجاحظ عالج موضوع الأصوات اللغوية التي تدخلها اللثغة معالجة علمية دقيقة إذ تطرق للحروف التي تدخلها اللثغة «...القاف والسين واللام والراء...»[28].

وبحسب رأي الجاحظ قد يصاب المرء بأكثر من لثغة لغوية فقد قال: «وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في جوفين...»[29]، كما أن صاحب البيان لم يكتف بوصف الأصوات، بل تحدث عن مراتبها ومستوياتها الاجتماعية ومواقعها من آذان المستمعين، كما هو موضح من خلال الشكل الآتي:

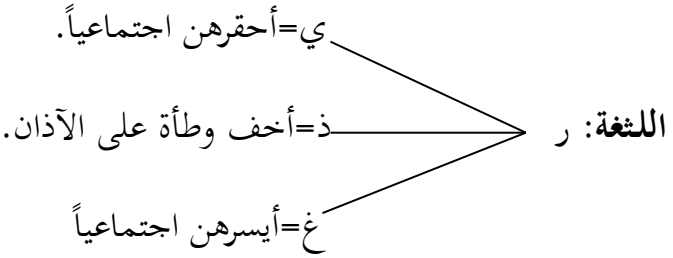

يرى الباحث أن الجاحظ له دراية وعلم واسع بالأمراض اللغوية التي تصيب الناس سواء كانوا بلغاء أو خطباء أو شعراء أو رؤساء أومن عامة الناس مستشهداً في ذلك بأقوال أساتذته أمثال الأصمعي[30].

- الأمراض اللغوية في ضوء اللسانيات البيولوجية سبر لتجربة الجاحظ:

يقول الباحث مازن الوعر: «لقد اقترب أبو عثمان الجاحظ في بحثه في الأمراض اللغوية وطبيعتها من البحوث اللسانية المعاصرة القائمة على المعايير اللسانية البيولوجية، ولاسيما المعايير اللسانية النفسية»[31].

فقد أشار الباحث إلى أن الجاحظ لم يتعرض للمرض اللغوي كظاهرة قائمة برأسها بل تعرض لها أثناء حديثه عن الخطابة والخطباء الفصاحة والفصحاء والبلاغة والبلغاء ثم الشعر والشعراء، كون الجاحظ تحلى بحس علمي مرهف أهله لمعالجة الأمراض اللغوية معالجة تقترب من الباحثين الذين عالجوا هذه الأمراض معالجة طبية أو نفسية، ومن البحث الحديث في علم اللسانيات الذي ينظر إلى الأمراض اللغوية نظرة لسانية بيولوجية باعتبار هناك علاقة وطيدة بين المرض اللغوي وبين المرض الفيزيولوجي، فالجاحظ قد أدرك هذه الظواهر المرضية وحاول التفصيل فيها فحينما تكلم عن اللثغة وكيف يمكن للزيغ والانحراف والتداخل الصوتي أن يتم خلالها أثناء العملية اللغوية، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال الصورة الآتية[32]:

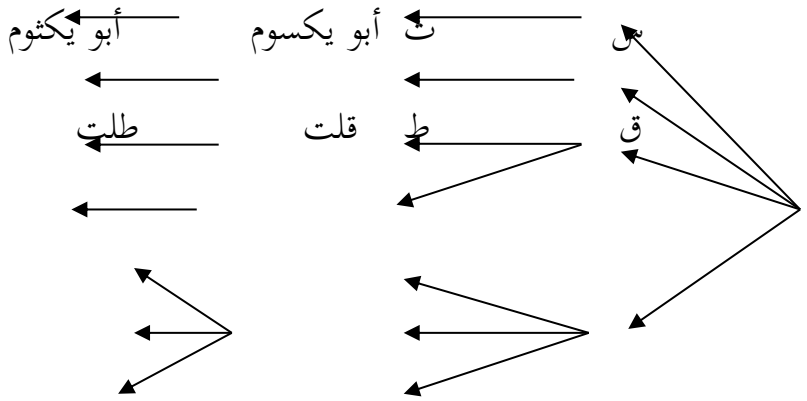

يرى مازن الوعر أن هذه الأمراض اللغوية التي تناولها الجاحظ يمكن أن تصنف ضمن الأمراض اللغوية المعاصرة، التي لها علاقة مباشرة بالنطق الكلامي والنظم الكلامي والاستعمال الكلامي[33].

مازن الوعر يذهب إلى أنه على الرغم من بدائية الوسائل العلمية التي استخدمها الجاحظ إلا أنه استطاع أن يعالج هذه الظواهر اللغوية المختلفة والمتنوعة مثل اللثغة والفأفأة والتمتمة وغيرها من الأمراض معالجة قريبة من المعالجة التجريبية المستخدمة الوسائل العلمية الحديثة سواء تعلق عمله–الجاحظ– بالوصف أو بالعلاج الطبيعي لهذه الأمراض مدركاً أن هذه الظواهر والأمراض هي **ظواهر وراثية** أكثر منها **ظواهر اجتماعية**، وهذا ما أثبتته البحوث العلمية المعاصرة، كما يرى الباحث أن الجاحظ لم يكتف بالتفسير الوراثي للمرض اللغوي، بل تعداه إلى تفسير اجتماعي الذي سماه علماء اللسانيات الأمريكيون بـ: **اللسانيات الاجتماعية**[34]–[35].

– التبادلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم:

(١) ج ⟵ ز جمل ⟵ زمل (السندي)

(٢) ش ⟵ س شر ⟵ سر (السندي والرومي)

(٣) ز ⟵ س زورق ⟵ سورق (النبطي)

(٤)ح ⟵ هـ حمار ⟵ همار (الرومي)

إن الباحث قدم مجموعة من التبادلات الصوتية التي تحدث عنها الجاحظ في بحوثه التي قام بها، إذ نقل إلينا عددا من النصوص التي تثبت صحة ما ذهب إليه، كما وجد أن الجاحظ يقترب كثيرا من الرؤية الحديثة التي جاء بها إيريك لينبرغ الذي يرى أن هناك مستويات بيولوجية عدة لتعلم اللغة(الاكتساب اللغوي)هذه المستويات مختلفة عند الأطفال وعند الكبار، وذلك عائد لاختلاف الخلايا في الدماغ ومراكزها عند الأطفال، فهي تتسم بالرخاوة كونها فيزيولوجية مما تسهل تعلم واكتساب اللغة عند الطفل، وهذا الأمر غير ممكن عن الكبار بسبب اكتمال وتمام البنية الدماغية مما يصعب عملية تعلم اللغة، وهذه الرؤية عبر عنها الجاحظ في نصه التالي: «...ألا ترى أن السندي **إذا جُلب إلينا كبيراً** فإنه لا يستطيع أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم، وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما...»[36].

فهذا يؤكد الطابع الاجتماعي للغة[37] التي يمارسها الأفراد داخل مجتمعاتهم، إذن هناك علاقة بين اللغة والمجتمع، فهي تحمل صورا مختلف لذلك المجتمع فهناك لغة الفلاح ولغة العامل ولغة التاجر...هنا يمكن القول على لسان الجاحظ أن الإنسان ابن بيئته الأولى التي ترعرع فيها وتعلم لغتها.

خلاصة:

الحقيقة التي يجب أن نتوقف عندها أن مازن الوعر قد توصل إلى قضايا جد هامة من خلال تلك العودة الجادة للتراث اللساني العربي حينما حاول تفسير هذا التراث في ضوء اللسانيات الحديثة، فهو يرى أن الجاحظ قد أثار نظريات عدة في المعرفة البشرية بالرغم أنه لم يُفصل فيها تفصيلا دقيقا[38]، وهذا يعود إلى كون الرجل عاش حياةً وظروفاً غير الظروف التي عاشها باحثوا عصرنا، فهناك فارق زمني كبير بينهما مما جعل الهوة تكون كذلك سواء تعلق الأمر بالجوانب الحضارية والثقافية والفكرية أو في النضج العلمي والمعرفي، الذي تميز بجودة ودقة وسرعة الوسائل العلمية المستعملة من طرف الباحثين والدارسين في مجال أبحاثهم العلمية.

هوامش الدراسة:

1– الجاحظ (أبو عثمان) الحيوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م، ج1ص٣٤٨.

2– البيان والتبيين، ج١، ص١٣٩–١٤٠.

3– نفسه، ج١، ، ص١٤٠.

4- نفسه، ج١، ص١٤٠.

5- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٥٥٦.

6- دلائل الإعجاز، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، ١٩٩٥، ص٤٠.

7- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، دار القلم، بيروت نط٥، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٥٢. ينظر أيضاً: الحسن الهلالي، في أصل اللغة وتطورها عند أبي نصر الفارابي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثانية عشرة، العدد ٤٦، ٢٠٠٤، ص٧٤.

8 - يعتبر البحث في أصل نشأة اللغة من الموضوعات التي كان لها الحظ الأوفر مقارنة مع البحوث اللغوية الأخرى، فقد كان البحث في نشأة اللغة متواصلاً عبر مراحل مختلفة من العصور التي مر بها الكائن البشري، ولكن وللأسف لم يتوصل الباحثون والدارسون إلى نتيجة نهائية كون الموضوع مثار جدل كبير إلى يوم الناس هذا، وللاطلاع على هذا الموضوع (نشأة اللغة) يمكن العودة إلى: دلالة الألفاظ، ص١٣ وما بعدها -وانفتاح النسق اللساني (دراسة في التداخل الاختصاصي) ص ص٣١-٣٩.

9- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ، ص٥٥٧.

10- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٥٨

11 -Chomsky Noam Aspects Of the theory of syntax 1965 P47-59، نقلا عن قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٥٩.

12- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٥٥٩.

13- البيان والتبيين، ج١، ص٤٠، وللتوسع أكثر ينظر: السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، ٢٠٠٢م.

14- هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني اختلف في مولده إلا أنهم يكادون يتفقون على تاريخ وفاته وهو سنة 255هـ وعلى أنه عاش نحو ست وتسعين سنة وعلى هذا يكون ميلاده حوال159هـ، وقد ذكر عبد السلام محمد هارون محقق كتب الجاحظ أنه ولد سنة 150هـ. ولد في خلافة أبي عبد الله محمد المهدي بن المنصور 159هـ-169هـ وتوفي آخر خلافة المهدي بالله بن الواثق 255هـ فقد شهد عشرة خلفاء على الخلافة من أمثال الهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين، كما شاهد سلطة المعتزلة في عصر المأمون، وسلطة الفرس وغلبتهم وسطوة الترك وحلولهم محل الفرس... ومن معاصريه أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو الحسن على بن محمد المدائني، وهشام بن محمد الكلبي هؤلاء الثلاثة عرفوا بغزارة التأليف والإنتاج العلمي. (عبد العزيز عتيق، **تاريخ البلاغة العربية**، دار النهضة العربية، بيروت، ب ت ط، ص٢٥).

15- **مفهوم التراث:** "إن تراث أمة ما هو ما قدمه سلفها في مجال التفكير والثقافة-بما فيها التراث اللغوي-بصفة عامة وتوارثته الأجيال، وأضافت إليه ما استطاعت أن تضيف، وأمة بلا تراث هي أمة بلا مستقبل، وذلك لأن تراث الأمة يحفظ لها ملامحها المميزة ومكونات شخصيتها، ويعطيها قاعدة تبني عليها مستقبلها"، مصطفى محمد طه، العودة إلى التراث ضرورة حضارية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة، العدد٧٠، يونيو٢٠١٠، ص٣١".

16- ينظر: إبراهيم مدكور، إحياء التراث، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء٣٨-٣٩-٤٠، نوفمبر١٩٨٦، ص٨-٨-٢.ينظر أيضاً: أحمد الحوفي، لماذا نعنى بتراثنا، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء ٤٦، نوفمبر١٩٨٦.ص١٩.

17-قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٣٥.

18-قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ص٥٣٦ -٥٣٧.

19- ينظر: نفسه، ص٥٣٧ وما بعدها.

20-ينظر: نفسه، ص ص ٥٤١-٥٤٢.

21- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ص٥٤٢-٥٤٣.

22-ينظر: نفسه، ص ص٥٤٢-٥٤٣.

23-ينظر: نفسه، ص٥٤٤-٥٤٥.

24- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٤٦.

25- الجاحظ (أبو عثمان)-البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط ت، ج١، ص٣٤.

26- نفسه، ج١، ص٣٦.

27- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠.

28- الجاحظ (أبو عثمان)-البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط ت، ج١، ص٣٤

29- نفسه، ج١، ص٣٦.

30- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠.

31- نفسه، ص٥٥٠.

32- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٥١. - ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٥٤.

33-كون اللغة ظاهرة اجتماعية فكان لها دور كبير في تحديد شخصية الفرد، ناهيك عن العوامل الاجتماعية المتمثلة في التباين الاجتماعي الذي نراه في الواقع اليومي داخل المجتمع اللغوي الواحد ومن بين هذا التباين تلك الفروق الفردية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، فهذا له أثر في تحديد البنى اللغوية التي يختارها أفراد طبقة من طبقات المجتمع، وهذا يدل دلالة قطعية على أن العامل الاجتماعي له دور هام في دراسة اللغة من مختلف جوانبها باعتبار اللغة نشاط إنساني يومي يظهر في سلوكيات أفراد المجتمع، كما أن اللغة تعتبر مرآة عاكسة لما يجري في الواقع بل تعتبر حاملة له فنحن إذا أردنا أن نعبر عن هذا الواقع لابد من استخدام اللغة باعتبارها أهم الأنظمة الاتصالية. ينظر: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص٧٠.وينظر أيضا: روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٢١.

34- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٥٢-٥٥٣.

35- البيان والتبيين، ج١، ص٧٠-٧١.للاطلاع على موضوع الأمراض النطقية يمكن العودة إلى: سهير محمود أمين، اللجلجة أسبابها وعلاجها، سلسلة الفكر العربي في التربية الخاصة، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة حلوان، ط١، ٢٠٠٨، سليمان عبد الواحد، يوسف إبراهيم، اضطرابات النطق والكلام لدى المعاقين والوحديين، القاهرة، ط، ٢٠١٠م، ديديه بورو، اضطرابات اللغة تر: أنطوان الهاشم، عويدات للنشر، بيروت، دار وائل، ط١، ٢٠٠٠.

37- للاطلاع أكثر عن الطبيعة الاجتماعية للغة ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة (تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠١٠، ص٤٥ وما بعدها.

38- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٥٦٥.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس.دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ب ط، ١٩٩٧.

2- إبراهيم مدكور، إحياء التراث، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء٣٨-٣٩-٤٠، نوفمبر١٩٨٦.

3- أحمد الحوفي، لماذا نعنى بتراثنا، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء ٤٦، نوفمبر، ١٩٨٦.

4- الجاحظ(أبو عثمان)- الحيوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١ط، ١٩٦٩، ج1.

5 - البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط ت، ج١.

6-الحسن الهلالي، في أصل اللغة وتطورها عند أبي نصر الفارابي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثانية عشرة، العدد46، ٢٠٠٤.

7- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، دار القلم، بيروت نط٥، ١٩٩٥م، ج٢.

8- ديديه بورو، اضطرابات اللغة تر: أنطوان الهاشم، عويدات للنشر، بيروت، دار وائل، ١ط، ٢٠٠٠م.

9- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١ط، ٢٠٠٧.

10- سليمان عبد الواحد، يوسف إبراهيم، اضطرابات النطق والكلام لدى المعاقين والوحديين، القاهرة، ٢٠١٠.

11- سهير محمود أمين، اللجلجة أسبابها وعلاجها، سلسلة الفكر العربي في التربية الخاصة، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة حلوان، ٢٠٠٨.

12- السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، ٢٠٠٢م.

13- عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ب ت ط، ص٢٥.

14- عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، ١٩٩٥.

15- كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الرشاد، القاهرة، ب دت، ٢٠٠٠.

16- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، ط١، سنة ١٩٨٨.

17- محي الدين محسب: انفتاح النسق اللساني (دراسة في التداخل الاختصاصي) دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي-ليبيا، ١ط، ٢٠٠٨.

18- مصطفى محمد طه، العودة إلى التراث ضرورة حضارية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة، العدد٧٠، يونيو٢٠١٠.

19-مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة(تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط ١، ٢٠١٠.